

الأعمال الكريمة

لفضيلة الشيخ

عظيمة الله أبي عبد الرحمن

حكايا ابن أبي عمير

رحمه الله

جمعه ورببه وحققه

أبو عبد الرحمن الشافعي

غفر الله له

الطبعة الثانية بزيادة ونقح

لتحميل الكتاب وتصفحه في الشبكة

صور
الباركود



<https://mktabaj.net/atyah>

لتحميل مجموع الأعمال وتصفحه
من خلال برنامج "التور" حصراً

صور
الباركود



<http://256c73vcfyg3wysyvzauirdxlop7m ovh4jeq2kmlqgpryw ppkgaqbbqd.onion>

الإمام الشافعي

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

كانت الطبعة الأولى في عام: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، وتأتي هذه

الطبعة الثانية -مزيدة ومنقحة بإضافات كثيرة -

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

الرفع الإلكتروني الخاص بمجموع الأعمال الكاملة للشيخ عطية الله:

<https://mktabaj.net/atyah>

وعلى شبكة التور "السفرة":

<http://256c73vcfvq3wysyvvzauirdxlop7movh4ieq2kmlaqaprywppkaaqbbqd.onion/>

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم؛ بشرط الدعاء:

للمؤلف الشيخ المجاهد: عطية الله الليبي ﷺ وتقبله وأسكنه الفردوس وأخلف الأمة عنه خيرا

ولأبطال الأمة: المجاهدين الميامين نصرهم الله وسدد رميهم وثبتهم ومكنهم، وأذل عدوهم

وللفقير لربه معد المشروع: الزبير الغزي هداه الله وعلمه وغفر له وتقبل منه، وحثم له بالخير والشهادة

وللمسلمين عامة، وأهل الشام وفلسطين خاصة أزال الله أعداءهم، ومكن لشعره حكما بينهم

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertifika No: 45528
الإمام الكاملية

عنوان: للشيخ الإمام الشهيد المجاهد - العمرانية

Yamanevler M Dükkan: 1

عطية الله الليبي

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

المكتبة العالمية

الإمام الكاظم عليه السلام

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطاء الله اللبيني

جمال الدين أحمد الشاذلي المصري

الذي استشهد - تقبله الله - بغارة أمريكية صليبية على منزله في خراسان في شهر رمضان ١٤٣٢هـ، أغسطس ٢٠١١م

تقديم:

الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني الشيخ: سيف العدل المصري
الشيخ: أبي عياض التونسي الشيخ: أبي الحسن رشيد البلدي
الشيخ: أبي محمد الفقيه الليبي الشيخ: د. هانئ السباعي
الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي الشيخ: د. سامي العريدي

الطبعة الثانية - مزيخة ومنقحة -

جمعه ورتبه وحققه وخرجه أحاديثه:

أبو عبد الرحمن الشاذلي الزبيدي الغزي

- غفر الله له ودفن له بالشهادة في سبيله على نرك بيت المقدس -



دار الكتاب العالمي



شَيْخُ حَدِيثٍ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ)

[محاضرة صوتية: مدتها ثلاثون دقيقة، نشرها: بعض المجاهدين - بشكل غير رسمي -، وقام بتفريغها^(١) «مؤسسة التحايا للإعلام»، وقد نُشرت في مطلع عام ١٤٣٥ هـ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فموضوعنا اليوم كلمة بسيطة هي تذكرة اخترت لها حديثاً من أحاديث النبي ﷺ وهو الحديث الذي رواه «مسلم» في «صحيحه» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)^(٢) انتهى الحديث.

هذا الحديث النبوي الكريم يُعتبر في الحقيقة قاعدة من القواعد وفيه جملة من الأحكام وجملة من الآداب العظيمة:

يبدأه النبي ﷺ بقوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وفي هذه الجملة من المعاني:

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغيير كثير من الكلمات العامة واستبدالها

بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريد بها الشيخ ﷺ.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

- أن المؤمن يمكن أن يكون قويا ويمكن أن يكون ضعيفا.
- وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- وأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولكن في كل خير؛ فقد قال: (وفي كل خير)، هذا احتراز ودفع لتوهم أن الضعيف مذموم -مثلاً- أو أنه لا خير فيه؛ لأنه أحياناً إذا مدحت شيئاً قد يتوهم أنك تدم ضده، هذا كقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، أو كقوله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

فالنبي ﷺ هنا يقول: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ثم قال: (وفي كل خير) المؤمن كله خير قد جاء هذا مصرحاً به في أحاديث كثيرة، وهذا متقرر معروف؛ فالمؤمن خيره كثير ولهذا شبهه النبي ﷺ بالنخلة كما قال في الحديث الذي رواه «البخاري» في «صحيحه»: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: (هي النخلة)^(١).

ووجه الشبه بالنخلة أنها نافعة، أي لكثرة وعموم النفع بها؛ حيث أنها يُتَنَفَعُ بها على كل وجه، فينتفع بكل شيء منها، وكذلك المؤمن؛ حيث ما كان نفع، فالمؤمن فيه خير كثير، حتى وإن كان فيه بعض الشوك وبعض الشر أحياناً، لكن باعتبار الغالب فهو خير وهو نفع وهو صلاح، المؤمن خير وخيره كثير وغالب ونفعه غالب (وفي كل خير)، لكن المؤمن القوي فيه من الخير أكثر مما في المؤمن الضعيف.

ما معنى القوة في قوله: (المؤمن القوي)؟ قال العلماء: معنى القوة هنا قوة العزيمة في تحصيل المنافع، ولهذا قال بعدها: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) فنهى عن العجز؛ فالقوة هنا ليست قوة الإيمان، فبعض الناس يتوهم أن المقصود بالحديث قوة الإيمان، أي المؤمن القوي بإيمانه؛ يعني خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف إيماناً! لا، ليس كذلك.

(١) صحيح البخاري (٦١، ٦٢، ٧٢، ١٣١، ٢٢٠٩، ٤٦٩٨، ٥٤٤٤، ٦١٢٢، ٦١٤٤).

الجُمْل التي بعد هذه الجملة توضّح الحديث وتشرحه؛ فليس هذا المراد والله أعلم، إلا أن يُقال أنه داخل في عموم لفظ القوي هذا ممكن، لكن المراد بالقصد الأول وأصالةً هو المؤمن القوي، القوة التي في تحصيل منافع وخيرات الدنيا والآخرة هذه القوة، قال العلماء: «هي قوة العزيمة في التدبير وفي تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية»، يعني هناك من المؤمنين مثلاً من هو مؤمن ضعيف مسيكين ما يحسن التدبير وما يحسن يتصرف ولا يحسن يجاهد ولا يحسن يأمر بمعروف ولا يحسن يصدع بالحق ولا يحسن يقود الثورات، ولا يحسن أن يعمل الأعمال العظيمة، وهناك مؤمن قوي يصلح لهذا ويجاهد ويأمر ويصدع ويفعل ويفعل ويقوم بالمهمات وبعضها أمور، ويرتكب المشاق، هذا المؤمن القوي.

المؤمن القوي هذا يحتاج إلى -كيف كان قوياً؟ القوة هذه ملكات- يحتاج استعداد، يحتاج إلى استكمال أدوات القوة، القوة البدنية والقوة العقلية والفكرية، لكن أهمها قوة الإرادة وقوة العزيمة؛ ولهذا غالباً العلماء يقولون في شرحه: «قوة العزيمة في تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية». وفي هذا حثُّ على القوة في تدبير شؤون الدنيا والآخرة، وتحصيل منافعك الدنيوية والأخروية؛ فلتكن فيها أيها المؤمن قوياً.

يوضحه ما بعده قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) هذه الثلاث جمل أيها العبد المؤمن، (احرص على ما ينفعك) يعني ليكن منك حرص دائم على ما ينفعك من خيري الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن القوي يحرص على ما ينفعه، الحرص، وقوة الحرص على النفع هذه من أسباب النجاح والفلاح، حتى في مشروع دنيوي بسيط عندما تكون حريصاً ينجح، كثير من الناس عندهم آماني، وعندهم حتى أفكار أحياناً ومشاريع معينة، وممكن هو عنده تخیل جيد وفكرة جيدة لكن ما ينجح المشروع بمجرد أنه فكرة! لا بد أن تتحول الفكرة إلى إيمان، إلى اعتقاد بأن هذا نافع وهذا مفيد وأن هذا لا بد أن نفعه، فيكون فيه نوع من الحرقه ونوع من التصور الحامل للإنسان على العمل وهو إيمان بهذه الفكرة، وقناعة معينة، بمعادلة معينة، قضية معينة تؤمن بها فتحولها إلى عمل، هذا الإيمان وهذا التحول إلى عمل هو أن تحرص على ما ينفعك.

قوة الحرص أنه يتضمن قوة العزيمة في فعلك لِمَا اقتنعتَ به؛ هذا سبب عظيم من أسباب النجاح في أمور الدنيا والآخرة، الحريص على الجنة وعلى الدرجات العلا يحرص على فعل الطاعات والخيرات ويُسابق إليها، ويحرص على الشهادة -مثلاً-؛ فهذا بابٌ مفتوح سهل ميسر من أبواب الجنة، باب يرفعك إلى منزلة النبيين والصديقين؛ فما بعد هؤلاء إلا الشهداء!

أقرب الطرق إلى الدرجات العلا، هو أن يقتنع المرء بهذه الفكرة والباب مفتوحًا والسوق ما زال لم يغلق، فافتتح قناعة تحولت كأنها رأي عين؛ فاندفع إلى الجهاد وإلى ساحات الاستشهاد؛ فيستشهد في سبيل الله.. هذا حريص، هذا حرص على أمر أخروي.

الحرص على أمر دنيوي كثير، كثيرة أمثلته في تدبير شؤون دنيوية، في تحصيل معاشنا وفي أمورنا الاجتماعية وفي أمورنا الاقتصادية، كمشروع اقتصادي بسيط، وفي أمور الحرب ومنازلة الأعداء، في سياسات الأمم، وفي كل شيء (احرص على ما ينفعك)، في هذه الجملة تنبيه بل أمر بالأخذ بالأسباب، هذا ما يسميه العلماء الأخذ بالأسباب.

والمقصود بالأسباب: جمع سبب، وهو الأمر المفضي إلى أمر آخر، سبب مفضي إلى نتيجة معينة وإلى هدف وإلى مقصود؛ هذا هو السبب.

وعندما نقول نأخذ بالأسباب أي: نعمل بهذه الأسباب وهذه الوسائل الموصلة إلى مقاصدنا؛ المقاصد المشروعة التي نريدها والتي تندرج فيما شرع الله ﷻ وأباح وأحل أو أمر.

فلأخذ بالأسباب الموصلة إلى المقاصد مأمور به، والحقيقة أن فيه تفصيل طبعًا، الأخذ بالسبب متى يكون واجبًا ومتى يكون مستحبًا أو مباحًا فهذا فيه تفصيل بحسب الهدف، وبحسب المقصود؛ فإن كان المقصود واجبًا يعني تحصيله وتحقيقه واجبًا كان السبب المفضي إليه واجبًا؛ لأن ما لا يتم المأمور إلا به فهو مأمور به.

الشريعة تأمر بكل شيء توقف تحصيل المأمور به عليه، فنحن أمرنا الله ﷻ -مثلًا- بالجهاد، أمرنا بجهاد أعداء الله وقتالهم دفعًا وطلبًا؛ فلا بد من إعداد العدة لهذا الجهاد، وهذا القتال فيه إعداد العدة وحسن التدبير والتنسيق وترتيب أمورنا وغيرها.. كل ما يتوقف عليه تحصيل هذا السبب الذي هو انتصارنا على الأعداء ودحر الأعداء وهزيمتهم وأن نغلب عليهم وأن ندفع شرهم وأن نحرر أرضنا منهم ونحرر مقدساتنا.. كل ما يتوقف عليه ذلك فهو واجب، تبقى تفاصيل بعد ذلك يعني بحسب ما يتوقف عليه بوضوح وبحسب قرب ذلك وبعده من معنى توقف عليه.

أما إن كان المقصود مستحبًا؛ فالسبب الموصل إليه مستحب، وإن كان مباحًا فالسبب الموصل إليه مباح، وهكذا..

فالمقصود: (احرص على ما ينفعك) فيها الأمر بالأخذ بالأسباب والحرص على منافع الدنيا والآخرة، والحرص هذا هو الذي يتحقق به النجاح والفلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، أما الإنسان الذي ليس بحريص، أي عاجز؛ فهذا الذي قال فيه النبي ﷺ: (ولا تعجز).

(واستعن بالله) نَبَّهَ على الاستعانة بالله؛ ليجمع لك أيها العبد المؤمن بين أمرين لا بد أن تفقههما أيها المؤمن وهما: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله؛ الشريعة والتوحيد.

الشريعة: هي الأحكام والأوامر والنواهي وما في معناها، طلب الفعل وطلب الترك وما قارب ذلك من الأحكام وأنتم تعرفون الأحكام الشرعية -قوانين الشريعة- أباح الله كذا، أمر الله بكذا، نهانا الله عن كذا، وضع الله الشيء الفلاني له علاقة بشيء آخر، هذه هي الأحكام، هذه هي الشريعة.

ومنها الأسباب: أي شيء دلت دلائل الشريعة على أنه سبب موصل إلى شيء آخر مقصود شرعاً مأمور به أمر إيجاب أو استحباب أو على الأقل مباح فهذا السبب مشروع، أو دلت دلائل الحس والتجربة والعقل على أن هذا الشيء مفضٍ إلى ذاك الشيء، مؤدٍ إليه؛ فإن كان ذلك المقصود مباحاً أو مشروعاً فهذا السبب مشروع، هذه هي الأسباب.

نحن عرفنا بدليل التجربة -مثلاً- أن الطريقة الفلانية هي التي تمنع الشيء -الضرر الفلاني- فنفعل هذه الطريقة الفلانية، علمنا بطريقة تجارب الأمم والشعوب أن هزيمة هذا العدو ما تكون إلا بهذه الطريقة -حرب العصابات ونحوها، وبسبب التكتيك الفلاني- فنستعمل هذا السبب المفضي إلى ذلك الهدف والمقصود.

السبب إما أن يكون مدلولاً عليه بدليل الشرع، وإما أن يكون مدلولاً عليه بدليل التجربة والعقل والحس، ولهذا الآيات تدل والشرع يعتبر ذلك.

فنبداً هنا بالاستعانة بالله بعد الأخذ بالأسباب، تأخذ بالأسباب وتحرص على ما ينفعك وهذا لا يكفيك؛ بل لا بد من الاستعانة بالله ﷻ (واستعن بالله) يعني توكل عليه، (استعن) بمعنى اطلب العون منه، دلالة الألف والسين والتاء هذه دلالة الطلب، يعني اطلب العون منه، ألجأ إليه واطلب العون منه؛ فإنه هو الذي يعينك فقط، وإن لم يُعِنك ولم يأذن بتصريف أمرك وبيئناجحك وإفلاحك فلا تنجح، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

(واستعن بالله) فنبه إذن -بعد الأمر بالأخذ بالأسباب- على وجوب الاستعانة بالله ﷻ، والتوكل على الله، تستعن بالله وتتوكل عليه.

والتوكل على الله ﷻ معناه أن توكله في أمرك، أن توكل أمرك إليه، وهذا التوكل يقتضي أنك أنت تثق فيه، يعني أنت توكل أمورك لأحد لا تثق فيه! هل توكل إليه أمورك؟ لا بد من الثقة وحسن الظن، هذه الثقة وحسن الظن بالله ﷻ هنا في هذا المقام تحصل من أين؟ تحصل من معرفتنا بالله ﷻ المعرفة بالله ﷻ بأسمائه وصفاته، المعرفة بجماله وكماله وجلاله ﷻ وعظمته.

توحيدنا لله ﷻ ومعرفتنا بالله ﷻ هي التي تجعلنا نثق بالله، نعرف رحمته وأنه أرحم بنا من أنفسنا وأنه أرحم بنا من أمهاتنا اللاتي ولدنا، عندما نعرف أن الله بنا رحيم، وأنه بنا لطيف يلف بنا، وأنه ودود كريم وهاب وأنه رزاق وأنه أيضاً القادر على كل شيء وهو الغالب على أمره وهو العزيز الذي لا يمتنع منه شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى، وهكذا نعرف صفات الله ﷻ، وأنه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل ولا ينسى، والذي لا يعجزه شيء.

صفات الله ﷻ وأسماؤه الحسنى عندما نعرفها ونحصىها ونعرف معانيها ونقف عندها ونتدبرها نحصل عندها الثقة بالله ﷻ؛ الثقة بقدرته وقوته وبرحمته ولطفه وإحسانه، والثقة بأنه لا يعجزه شيء وأنه أرحم بنا من أنفسنا - كما ذكرنا -؛ فتوكله في أمورك تتوكل عليه، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل] اتخذه وكيلاً لك، وكل إليه أمرك وشأنك وفوض إليه أمورك، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، نعم الله وكيلاً لنا؛ فهذا نبيه على الاستعانة والتوكل الذي هو التوحيد بعد الأمر بالأخذ بالأسباب؛ ولهذا توصف شريعتنا وديننا بأنها «الحنيفية السمحة» أو «السمحاء».

الحنيفية؛ قال العلماء: «حنيفية في التوحيد» يعني كاملة في التوحيد؛ فهي أكمل الأديان في التوحيد، صحيح أن الأنبياء كلهم جاؤوا بالتوحيد بدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ولكن ديننا حتى في التوحيد هو أكمل من الأديان السابقة، هناك أشياء كانت في الأديان السابقة مباحة حُرمت في ديننا زيادة في تحقيق التوحيد، كقولهم مثلاً: «ما شاء الله وشئت»، وأشياء من هذا القبيل كالسجود لغير الله ﷻ وغيره؛ حماية لجناب التوحيد - كما قال العلماء - وسد منافذ الشرك وذرائع الشرك وغيرها؛ لأن هذا الدين إذن وهذه الشريعة هي أكمل حتى في التوحيد؛ في تحقيق التوحيد.

وفي الشريعة شريعة «سمحة» أو «سمحاء» بمعنى أن فيها اليسر، والبعد عن التكلف، والبعد عن الصعوبة والتعسير، وفيها الواقعية، وفيها البعد عن التكلف الذي هو السماحة.

السماحة ضد التكلف في الأصل يعني ما فيها تكلف ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص]، «نُهينا عن التكلف» قاله سيدنا عمر ﷺ^(١).

فإذن نبيه على الأمرين: الشريعة والتوحيد، الشريعة الأخذ بالأسباب والعمل بالقوانين هذا الشيء

(١) صحيح البخاري (٧٢٩٣).

مفضي إلى هذا الشيء، لكي تنجح في الشيء الفلاني لازم تعمل كذا وكذا، هذه الطريقة ميكانيكية لا بد أن تفعلها، يستوي في هذا المؤمن والكافر، حتى الكافر يعرف أن كثيرًا من هذه الأسباب مفضية إلى هذه المقاصد، ونحن أهل الإيمان نزيد عليهم بما علمه الله ﷻ لنا من هذه الشريعة العظيمة، ومما نبهنا عليه من دلائل في الأسباب والمسببات.

فهذا الشيء الأول، الأخذ بالأسباب: (احرص على ما ينفعك).

ثم قال: (واستعن بالله) الاستعانة بالله ﷻ والتوكل عليه هو التوحيد.

بعدها قال: (ولا تعجز) النهي عن العجز، العجز ضد الكَيْس في اللغة - هنا ضد - معنى الكيس المذكور في القوي، (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) وفي (احرص على ما ينفعك) هذا الكَيْس؛ الكَيْاسَة.

العاجز: هو الذي لا يأخذ بالأسباب، فالعاجز هو الضعيف، وهو الذي لا يعرف كيف يصرف أموره ولا يدبر شأنه، لا يحرص على ما ينفعه لا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة هذا عاجز، هذا عَجَز يلوم الله عليه ويؤاخذ عليه.

لأن العجز عجزان؛ فيطلق العجز باعتبارين أو بمعنيين، أو إطلاقين:

- العجز الذي هو ضد القدرة، والقدرة طبعًا هي مناط التكليف؛ فالله ﷻ لا يكلف العبد إلا ما يستطيعه؛ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] شرط كل تكليف في الدين هو القدرة؟ الذي ليس عنده القدرة للقيام بالتكليف يسمى عاجزًا وهذا غير مُكَلَّف، أي أنه سقط عليه التكليف الذي لم يقدر عليه؟ التكليف الذي لم يقدر عليه المرء يسقط عنه، هذا عاجز لكن هذا ليس مقصودًا هنا، فهذا لا يؤاخذ الله عليه، هذا عجز أنت لا إرادة لك فيه؛ كالعاجز عن القيام بالصلاة يصلي جالسًا أو نائمًا مضطجعًا وهكذا، العاجز عن الجهاد لا يستطيعه؛ فهذا معذور، والعاجز عن الحج لا يجب عليه، وهكذا العاجز عن الصيام، والعاجز عن أي تكليف يسقط عليه التكليف الذي يعجز عنه؛ لأنه لا يقدر، خلاص (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، هذا عجز آخر لا يلوم الله عليه، لا لوم فيه.

- لكن العجز الذي يُنهي عنه هنا هو عجزٌ من كَسْب الإنسان؛ ولهذا ليم فيه لأنه عجز يقدر أن يتداركه بالأخذ بأسباب القوة، ويستطيع أن يزيله عن نفسه؛ فهذا العجز منك أنت ومن كَسْبك ومن فعلك فُنْهَيْتَ عنه.. فصح أن يتوجه إليه التكليف.

(ولا تعجز) معنى العجز هنا عدم الأخذ بالأسباب، وعدم الحرص على ما ينفعك، وعدم القوة، أي الاستكانة والضعف، إذن المؤمن هو الكَيْسُ الفَطْنُ الذي يأخذ بالأسباب ويحسن التدبير في أمره

الديوي والأخروي ويكون قويًا، والعاجز هو الذي يترك هذه الأشياء، ويترك الأخذ بالأسباب، يُفَرِّط، فهو مفرط في الأسباب، الذي لا يحرص على النفع الديوي والأخروي، هو الضعيف ضعفاً ملاماً فيه، وذلك بتركه أسباب القوة.

(ولا تعجز) في سنن أبي داود وغيره أن النبي ﷺ قضى بين رجلين اختصما - يعني خصمان اختصما عنده - فقضى لأحدهما على الآخر - يعني أعطاه الحق - فولّى الذي قُضي عليه - الثاني - انصرف، وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فدعاه النبي ﷺ فقال له: تعال أو قال: ردوه عليّ، فنادوه وقال: (ما قلت؟)

قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال: (عليك بالكيس) الكيس هنا معناها الفطنة والحرص على ما ينفعك، وهو معنى الحديث الذي ورد هنا حديثنا هذا (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) وهو معنى القوة أيضاً (فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل).

هذا الحديث في «سنن أبي داود» في سنده مقال، لكن معناه تشهد له الأحاديث الأخرى ويشهد له كثير من الدلائل، وبعض العلماء صححه أيضاً مع هذا^(١).

قال: (عليك بالكيس) يعني احرص على منفعتك إذا كان الحق معك فأظهر بيناتك ودلائلك وحُججك واحرص على أخذ حَقِّك، لكنك فرطت في أخذ الحق وفي تحصيل المنفعة الديوية والأخروية ثم تقول: حسبي الله ونعم الوكيل!! ما هذا محلها، (عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل) بعد ذلك هناك محلها، خلاص لم يعد لديك إلا اللجوء إلى الله ﷻ والتفويض إليه فقط، هذه معنى حسبي الله ونعم الوكيل: أي الله كافي وقد فوضت إليه أمري وشأني.

إذن (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء) يعني من البلاء والمصيبة (فلا تقل لو أني فعلت) وجاء في رواية أخرى: (فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا).

هذا فيه النهي عن قول (لو) بهذا القيد، يعني لا تقل: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا) هذه (لو) التي تفيد الاعتراض على القدر أو التسخط على القدر؛ فهو نوع من الاعتراض على قدر الله ﷻ وقضائه والتسخط، هذه (لو) التي تُهي عنها؛ لأن (لو) ليس منهيًا عنها بالإطلاق ولهذا جاء استعمال (لو) في القرآن وفي السنة كثيراً.

(١) سنن أبي داود (٣٦٢٧)، وضعفه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٨٣) وضعفه الأرئووط، ولم أجد من صححه.

النبي ﷺ استعملها في مواضع متعددة وجمعها العلماء، والبخاري أيضًا بَوَّبَ في صحيحه «باب ما يجوز من اللَوِّ»^(١)، وعقد الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» في كتاب «التوحيد» أيضًا: «باب ما جاء في اللَوِّ»^(٢) أدخلوا عليها الألف واللام؛ لأنهم جعلوا هذا الحرف بمعناه يفيد التمني أو يفيد ما يقاربه، وهي حرف «امتناع لامتناع» كما يقولون في النحو؛ امتنع جوابها لامتناع شرطها.. فإذا كانت بمعنى الاعتراض على القدر والتسخط عليه فهي ممنوعة: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا) أرشد إلى هذا بقوله: (فإن لو تفتح عمل الشيطان) واستدلوا بهذا التذييل الأخير على أنها نهي كراهة؛ لأنه قال: (تفتح عمل الشيطان) أنها تؤدي بك أيها الإنسان المؤمن إلى الوسوسة، فهي تفتح للشيطان بابًا كبيرًا عليك يدخل منه إليك وإلى قلبك فيوسوس إليك فيجعلك يعني تشك في قضاء الله ﷻ وقدره وتتسخط عليه، وتتسخط على قسمة الله ﷻ وتتهم ربك، ويفسد حسن ظنك بالله ﷻ!

والعاجز هو الذي يقول: لو، دائمًا يقول: لو أني ولو أني، ويتبع نفسه هواها، لكن القوي الكيس الفطن

(١) قال البخاري ﷺ: «بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوِّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) [هود: ٨٠]» ثم ذكر في الباب ثمانية أحاديث استعملت فيها كلمة (لو)، وقال ابن حجر في «الفتح: ١٣ / ٢٢٨»: «قَالَ عِيَّاصُ: الَّذِي يُنْهَمُّ مِنْ تَرْجَمَةِ الْبُخَارِيِّ وَمِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْبَابِ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ لَوْ وَلَوْ لَا فِيمَا يَكُونُ لِلْاسْتِقْبَالِ مِمَّا فَعَلَهُ لَوْجُودٌ غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ لَوْ لِكَوْنِهِ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْبَابِ إِلَّا مَا هُوَ لِلْاسْتِقْبَالِ، وَمَا هُوَ حَقٌّ صَحِيحٌ مُتَيَقَّنٌ؛ بِخِلَافِ الْمَاضِي وَالْمُنْقِضِي أَوْ مَا فِيهِ اعْتِرَاضٌ عَلَى الْغَيْبِ وَالْقَدْرِ السَّابِقِ، قَالَ: وَالنَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ حَيْثُ قَالَهُ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ حَتْمًا وَأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصِبْهُ مَا أَصَابَهُ قَطْعًا؛ فَأَمَّا مَنْ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا. قَالَ: وَالَّذِي عِنْدِي فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّهْيَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَعُمُومِهِ لَكِنَّهُ نَهْيٌ تَنْزِيهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) أَي يَلْقَى فِي الْقَلْبِ مُعَارِضَةً الْقَدْرِ فَيُوسِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ. وَتَعَقُّبُهُ النَّوْويُّ بِأَنَّهُ: جَاءَ مِنَ اسْتِعْمَالِ لَوْ فِي الْمَاضِي مِثْلَ قَوْلِهِ لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتَ فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأَسُّفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ مَا هُوَ مُتَعَذِّرٌ عَلَيْهِ مِنْهُ وَنَحْوُ هَذَا فَلَا بَأْسَ، بِهِ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الْإِسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ: الْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَنَّ الَّذِي يَتَعَيَّنُ بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالرَّضَى بِمَا قَدَرَ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ لِمَا فَاتَ؛ فَإِنَّهُ إِذَا فَكَّرَ فِيمَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا) جَاءَتْهُ وَسَاوَسُ الشَّيْطَانِ فَلَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى يُفْضِي إِلَى الْخُسْرَانِ؛ فَيُعَارِضُ بِتَوَهُمِ التَّدْبِيرِ سَابِقِ الْمَقَادِيرِ، وَهَذَا هُوَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ الْمُنْهَى عَنِ تَعَاطِي أَسْبَابِهِ؛ بِقَوْلِهِ: (فَلَا تَقُلْ لَوْ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَرْكُ النَّطْقِ بِلَوْ مُطْلَقًا إِذْ قَدْ نَطَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا فِي عِدَّةِ أَحَادِيثٍ، وَلَكِنَّ مَحَلَّ النَّهْيِ عَنِ إِطْلَاقِهَا إِنَّمَا هُوَ فِيمَا إِذَا أُطْلِقَتْ مُعَارِضَةً لِلْقَدْرِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَنَاعَ لَوْ ارْتَفَعَ لَوَقَعَ خِلَافُ الْمَقْدُورِ، لَا مَا إِذَا أَخْبَرَ بِالْمَنَاعِ عَلَى جِهَةِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ فَائِدَةٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُخْتَلَفُ فِي جَوَازِ إِطْلَاقِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ فَتْحٌ لِعَمَلِ الشَّيْطَانِ وَلَا مَا يُفْضِي إِلَى تَحْرِيمِهِ».

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٦٠).

الحريص على ما ينفعه هو الذي يفعل الأشياء فإذا أصابه شيء لم يكن في حسابه بعد أن يأخذ هو بالأسباب ويستعين بالله ﷻ ويتوكل عليه، عندما يصيبه شيء هنا يقول: قدر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، هذه الكلمة هذا موضعها، هنا التفويض، خلاص ما عاد في من الأسباب شيء، انتهت الأسباب!

الأسباب التي أمرنا الله بها أو دلنا عليها أخذنا بها، ولكن ليس شرطاً أنك أنت تنجح! قد تفشل بعوامل كثيرة يقدرها الله ﷻ؛ فيصيبك مثلاً شيء من قدر الله ﷻ مصيبة أو تصيبك شدة أو مشقة، فشل، انكسار، فنقول: قدر الله وما شاء فعل، ففيه أيش؟ فيه الإيمان بالقضاء والقدر والتفويض إلى الله ﷻ واللجوء إليه كما لجأنا إليه أولاً نلجأ إليه آخرًا، سبحانه ﷻ.

فإذا فاتنا الأمر الدنيوي مثلاً أو أصابتنا مصيبة فعلى الأقل لا يضيع منا إيماننا، وعلى الأقل لا نُكسر في إيماننا فنلجأ إلى الله ﷻ ونسلم بقضائه وقدره وقال الله ﷻ: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) [التغابن: 11]، ويشرح الله ﷻ صدر العبد المؤمن ويفتح عليه ويُغلق عليه أبواب الشيطان فيقول: قدر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فهذه الكلمة هنا في موضعها كلمة تفويض وكلمة إيمان بالقضاء والقدر، وهذه الكلمة عظيمة جداً فيها معانٍ، إذا لم يقلها المؤمن في موضعها يشعر بتلك المعاني بلا شك.

هذه أهم المعاني في هذا الحديث النبوي العظيم ونعيد قراءته مرة أخرى، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا..
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

